توظيفُ الحشدِ الشعبي في المدركِ السياسي العراقي

أ.م.د. جواد كاظم حطاب*
باحث وآكاديمي من العراق

* مركزُ دراساتِ البصرةِ والخليجِ العربيّ/ قسمُ الدراساتِ السياسيَّةِ والإستراتيجيَّة

المُقدِمة

أحدث الحشدُ الشعبي تغيراً دراماتيكا في مسار الحرب التي شنها تنظيم داعش الإرهابي ضد العراق، فبعد سيطرة الأخير على العديد من المناطق الغربية والشمالية والوسطى وتهديده بغداد وانهيار معنويات القوات الأمنية والمواطنين، تغيرت مسارات الحرب لصالح العراق وقواته الأمنية بفعل الحشد الشعبي الذي جاء نتيجة لفتوى المرجعية الدينية في النجف الاشرف في 13 / حزيران / 2014.

يتناول البحثُ هذا الحدثَ المصيريّ في تاريخ العراق والمنطقة وما تطوراته؟ وما الأسباب التي أدت إلى تحوّل الحشد الشعبي إلى قوة ضاربة قصمت ظهر الإرهاب؟، وإلى كيفية تعامل الحكومة العراقية مع هذه القوة وهل تبنتها ودافعت عنها أمام تحديات القوى المحلية والدولية؟.

ويتعرض البحث إلى الإجابة على سؤال مهم وهو: هل نجح الحشد الشعبي في ان يكون جزءاً مهمّاً وأساساً في القوات العراقية وفي أولويات الإستراتيجية العسكرية العراقية، وما اجراءات الحكومة العراقية لتحقيق هذا الغرض ؟.

ثم ينتهي البحث بتوصيات حول أهمية الحشد الشعبي وتعزيز مكانته في مستقبل العراق الأمني والعسكري.

تشكّل الحشدُ الشعبيُّ بعد فتوى الجهاد الكفائي التي دعت إليها مرجعية النجف الأشرف وأصدرها آيةُ الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني[1] في 13 حزيران 2014 [2] بعد سيطرة تنظيم داعش الإرهابي على أجزاء واسعة من المناطق الغربية والشمالية والوسطى وصولاً إلى المناطق الواقعة شمالي بغداد وتهديده حزام بغداد وإطرافها في 10/ حزيران/ 2014[3].

(1) مرجع ديني شيعي كبير ولد في مشهد عام 1930، تلقى علومه الأولى فيها وبعد أن سافر إلى قم انتقل إلى مدينة النجف الأشرف عام 1951 ليكمل دراسته الحوزوية على يد السيد محسن الحكيم والشيخ حسين الحلي والسيد ابو القاسم الخوئي، وفي عام 1994 آلت اليه المرجعية اوجزء منها بعد وفاة السيد عبد الاعلى السبزواري الذي خلف السيد ابو القاسم الخوئي. ولاتصافه بالورع والاعتدال ورجاحة العقل ونفاذ البصيرة وبخاصة فيما يتعلق بالشأن السياسي العراقي، فقد حظي باحترام وتقدير جميع الإطراف الدولية والمحلية بما فيها الامم المتحدة وتأخذ بملاحظاته ووتتجنب اثارة حفيظته.
حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط2، بيروت 2013، ص 430 ؛ فتوى الجهاد الكفائي والرؤية العميقة للمرجعية الدينية، الاحد 2016/12/18 http:www.alalam.ir

(2) محمد نجاح محمد الجزائري، دور الحشد الشعبي في الاستراتيجية العسكرية العراقية لمكافحة الإرهاب، المؤتمر الدولي الأول حول الإرهاب 18ـ 19 شباط 2017، هيئة الحشد الشعبي مكتب البصرة العراق البصرة 2017، ص 147 ؛ الأحد 2016http///12/18 www.alalam.ir، فتوى الجهاد الكفائي والرؤية العميقة للمرجعية الدينية.

(3) المصدر نفسه، ص 153، محمد طالب حميد، العلاقات الإيرانية الأمريكية توافق أم تقاطع، 1، القاهرة 2016، ص 300، .htt/www.alsaba com. iq;Artical show موقع جريدة الصباح،2014/6/22.

ووصفت هذه الفتوى بصعقة الحياة بقلوب وأفكار العراقيين الذين شعروا باليأس وضياع الوطن وبأنَّ كلَّ الأبواب أصبحت مقفلةً أمامهم، بل وحتى للمحللين وخبراء السياسية وجنرالات الحرب والأمن، فكانت حلاً حين لا حلَّ. وجاءت هذه الفتوى للدفاع عن الإنسانية جميعاً وانطلقت من مبدأ إسلامي صحيح وهو (أن حب الوطن من الأديان). وان حجمها ونتائجها أصبحت ضامنة لبقاء الدولة العراقية وهويتها ونظامها السياسي[4].

وأصبح الحشدُ الشعبيُّ جزءاً من القوات النظامية المسلَّحة العراقية بعد إقرار قانون هيأة الحشد الشعبي وتصويت البرلمان العراقي عليه بأغلبية الأصوات في 26/ 11/ 2016 ومصادقة رئاسة الجمهورية في يوم السبت / تشرين الثاني / 2016، وأكدت فقرات القانون في أولها: أن الحشد الشعبي يُعدُّ جزءاً من القوات المسلَّحة العراقية ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلَّحة العراقية[5] وساوى القانون بين الحشد والقوات المسلحة العراقية فيما يخصُّ التشكيلَ من قيادة وهيأة أركان وصنوف وألوية مقاتلة[6] وكما منعت القوانينُ الجيشَ والقواتِ النظاميَّةَ الاشتراكَ او الانتماءَ للأحزاب السياسية فقد منع هذا القانونُ منتسبي الحشد الشعبي من النشاطات السياسية والحزبية والعمل السياسي[7] كافة.

وتطوَّر الحشدُ الشعبيُّ إلى قوة قتالية رئيسة تضمُّ ما يقرب من 42 فصيلاً ليتحوّل إلى قوة موازية للجيش العراقي وأفضل منه بحجم كلي تجاوز 140 ألف مقاتل[8].

وعلى الرغم من تضارب الآراء والمصادر حول عدد أفراد الحشد الشعبي، إلَّا أن مصادر قدَّرته بين 60 و 140 ألف، وكان قادة في الحشد الشعبي قد قدَّموا طلباً للبرلمان لتمويل 180 ألف مقاتل، ووفقاً لرئيس لجنة الأمن والدفاع في البرلمان العراقي النائب في التيار الصدري حاكم الزاملي، اعترف البرلمان بـ 110 ألف مقاتل[9].

وتعزيزاً ودعماً لدور الحشد الشعبي فقد وجّه رئيسُ الـوزراء العراقي حيدر العبادي[10] في 24/ شباط/ 2016 وزارات ومؤسسات الدولة العراقية كافة بالتعامل مع الحشد الشعبي بوصفه هيأة رسمية ترتبط بالقائد العام للقوات المسلحة وبرئاسة الوزراء[11].

وتبنّتِ الدبلوماسيةُ العراقية الدفاع عن الحشد الشعبي كونه مارس دوراً مهمًّا في الحفاظ على الدولة العراقية والعملية السياسية من خلال عمليات التحرير للأراضي التي سيطر عليها تنظيم داعش الإرهابي وأعادت سيطرة الدولة عليها، وجاء ذلك

(4) وكالة نون الخبرية. اسعد كمال الشبلي، فتوى الجهاد الكفائي، ضمانة الدولة الكبرى، 18/حزيران /2016 http: www.non.com

(5) انكا سام. مركز انقرة لدراسة الأزمات والسياسات، قانون الحشد الشعبي والموقف الامريكي، 20/ اذار/ 2017 http:www.Ankasam.com

(6) انظر نص قانون هيأة الحشد الشعبي منشور على موقع www.nrttv.net. الفقرة الثانية من القانون.

(7) الفقرة الخامسة من القانون.

(8) انكاسام. مركز انقرة لدراسة الازمات والسياسات، 20/ اذار/ 2017

(9) ريناد منصور، فالح عبدالجبار، الحشد الشعبي ومستقبل العراق 28/ نيسان/2017 مركز كارنيقي للشرق الاوسط. مؤسسة كارينقي للسلام الدولي. http://www:Carnegie_mec. org

(10) حيدر جواد العبادي ولد في بغداد عام 1952 تولى رئاسة الوزراء العراقية في 9/8/ 2014_11/25/ 2018، كما يعدُّ من اعضاء حزب الدعوة الإسلامية، وعاش في كنف عائلة ذات اصول جنوبية عرفت في منطقة الكرادة بالتجارة ومحال العطارة ونال شهادة البكالوريس من الجامعة التكنولوجية قسم الهندسة الكهربائية ببغداد عام 1975، وحصل كذلك على شهادة الدكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة مانشستر البريطانية. تولى عدة مناصب في الدولة العراقية بعد 2003 ومنها رئيس اللجنة المالية في مجلس النواب ـ2011 2014، ورئيس لجنة الاقتصاد والاستثمار والإعمار 2006ـ 2010، وشغل مهام المستشار السياسي لرئيس الوزراء 2005ـ2006 وكان عضواً في مجلس النواب العراقي عن محافظة بغداد لعام 2005، كما شغل منصب وزير الاتصالات للمدة من أيلول ـ2003 حزيران 2004.
حيدر العبادي .http://ar.m.wikpedia org

(11) وكالة العراق الاخبارية 2017/12/11. http//www.onenews.com

في تصريحات وزير الخارجية العراقي إبراهيم الجعفري[12] 2014-2018 إذ أكَّد في الندوة الحوارية التي أقامتها وزارةُ الخارجية العراقية بعنوان (الحشد الشعبي في الدبلوماسية العراقية) وبحضور عدد من أعضاء مجلس النواب وقادة الحشد الشعبي وسفراء الدول المعتمدين لدى العراق: أن الحشد الشعبي ليس تنظيماً تقليدياً كما في جيوش العالم التي تتشكل في ظروف هادئة وطبيعية، فهو جاء نتيجة لتلبية نداء المرجعية الدينية وفي ظرف طارئ بعد ان تعرضت المحافظات العراقية لدخول عصابات داعش الإرهابية. واكد: أن الدفاع عن الحشد الشعبي هو شرف للدبوماسية العراقية ولن نتنازل عنه[13].

كما قامت وزراة الخارجية العراقية يوم الثلاثاء 20/اذار /2018 بالرد على تصريحات وزير الدولة للشؤون الخارجية في الإمارات العربية المتحدة انور قرقاش، والتي إتَّهم فيها الحشد الشعبي بتلقي الأموال من قطر، عبر المتحدث باسم الخارجية العراقية أحمد محجوب مؤكداً ان هذه التصريحات تثير الاستغراب، وهي تأتي في الوقت الذي يسعى فيه العراق لتطوير علاقاته مع الإمارات العربية المتحدة وأَنها تشكَّل عائقاً في طريق هذه العلاقات، واوضح بأن وزراة الخارجية العراقية وفي اكثر من مناسبة تجدّد تأكيدها أن مؤسسة الحشد الشعبي جزءٌ لايتجزأ من منظومة الامن الوطني ومؤسساته الرسمية لأنه تمَّ التصويت عليها في البرلمان العراقي، ويتبع للقائد العام للقوات المسلحة ومارست دورها المهم في القضاء على تنظيم داعش الإرهابي الذي هدَّد العراق والمنطقة[14].

ووصف بعض المصادر الحشد الشعبي بأنه من القوى الشعبية التي قررت الدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات، بسبب انتمائها العقائدي الكبير للوطن. وبمعنى آخر يمكن وصفهم بانهم قوة جماهيرية تتمثل فيها الأديان والمذاهب والقوميات المتنوعة في البلاد، أساس حركتها حب الله والأرض، وهي متوحّدة الأهداف والمصير[15].

وبالتالي فإن الحشد الشعبي لم يكن تطورا مفاجئاً عن الواقع العراقي بل هو حاجة ملحة وضرورة استراتيجية للأمن الوطني العراقي[16].

وحول وطنية الحشد الشعبي التي قادته إلى تحقيق التفوق على أعتى قوى الإرهاب المجهزة بأحدث الأسلحة من دول ومناشئ مختلفة والذي راهنت عليه دول المنطقة ومخابرات الدول الغربية بما فيها الأمريكية بأنها لاتقهر، وتعرض الكثيرون من المحللين والقادة في الحشد الشعبي إلى هذه الوطنية ودورها في تحقيق

(12) ابراهيم عبدالكريم حمزة الاشيقر الجعفري. سياسي عراقي ولد في 25/ اذار/1947 في مدينة كربلاء، وهو اول رئيس لمجلس الحكم الانتقالي الذي تشكل بعد تغير النظام في العراق عام 2003، وبعدها تسلم عدة مناصب في الحكومة العراقية أبرزها رئيس مجلس الوزراء (2005ـ2006) ووزير الخارجية 2014 /تشرين الثاني /2018، وتخرج من كلية الطب من جامعة الموصل، وكان قد انتمى إلى حزب الدعوة الإسلامية عام 1966، وغادر العراق إلى سوريا عام 1908، وانتخب عضواً في قيادة حزب الدعوة الإسلامية. كما عين رئيساً للمكتب التنفيذي في المجلس الأعلى الإسلامي العراقي عام 1982، ثم انتقل إلى لندن وساهم بتأسيس المؤتمر الوطني العراقي، وانتخب متحدثاً رسمياً باسم حزب الدعوة الإسلامية عام 1996، وعضو في البرلمان العراقي لدورتين انتخابين(2006ـ2010) و(2010ـ2014)، وقام بتأسيس تيار الإصلاح الوطني عام 2008، وترأس التحالف الوطني عام 2010 //:http ar.m wikpedia. org

(13) وكالة العراق الإخبارية 12/11/ 2017. ابن نيوز http//www. one .NEWS.com

(14). http//www.arabic. sputni 2018/3/news.com 20

(15) عدي الحاج، الحشد الشعبي ودوره في الحفاظ على الهوية الوطنية، شبكة النبأ المعلوماتية 2016/10/16 /http www.naba_news

(16) المصدر نفسه.

الانتصارات المتتالية، فقد أكد أحمد الأسدي الناطقُ الرسميُّ باسم هيأة الحشد الشعبي: أن هذه الوطنية للحشد اتَّضحت ملامحُها من خلال المعارك البطولية التي تمَّ فيها تحريرُ المناطق الغربية من سيطرة تنظيم داعش، مركزاً بأن الحشد تشكَّل من كل فئات الشعب العراقي، مستذكرا في الوقت نفسه حجم البطولات والتضحيات التي قدَّمها مقاتلوه في كل المعارك التي خاضوها وذلك بسبب عمق العقيدة التي يحملونها[17].

(17) عدي الحاج، الحشد الشعبي ودوره في الحفاظ على الهوية الوطنية، شبكة النبأ المعلوماتية 2016/10/16 /http www.naba_news

وأثبتت معارك التحرير وطنية الحشد الشعبي وذلك بنظافة جميع المعارك التي خاضها ضد الارهابيين في التعامل الإنساني والإسلامي مع المدنيين وكذلك في منع الاعتداء على الأموال الخاصة. فمثلا كان حجمُ الخسائر المادية في تكريت التي حرَّرها الحشدُ لا تتجاوز 3% بينما كانت خسائر معركة الرمادي التي لم يشترك فيها الحشدُ تقدّر بـ80% بعد مشاركة التحالف الدولي فيها[18].

(18) اسعد كمال الشبلي، فتوى الجهاد الكفائي، ضمانة الدول الكبرى 18/ حزيران /2016 http:www.non.com

وفي نفس السياق أكد عميدُ كلية العلوم السياسية في جامعة النهرين الدكتورُ عامر فياض: أهميةَ وضرورة مشاركة الحشد في معارك تحرير الموصل لما عُرِفَ عنه من خبرة وتجربة عسكرية وللعقيدة التي تجعله يحافظ على الحريات والمقدسات مذكراً بالدور الكبير لقيادات الحشد في إمداد معارك التحرير بالعدَّة والعدد من المقاتلين فضلاً عن الدفع المعنوي من خلال مشاركة هؤلاء القادة في أغلب المعارك وفي مقدمة المقاتلين، وفي إشارته إلى دور الحشد في الحفاظ على أمن الدولة العراقية ووحدتها ووطنيته أكد أن للحشد الشعبي الدورَ الكبيرَ والمساندة الفعالة لأبناء القوات الأمنية من الجيش والشرطة في القضاء على العصابات الإرهابية وتحرير المدن مبيناً «ان كل ذلك عَكَسَ الصورةَ الحقيقية للهوية الوطنية لأبناء الحشد وأنهم جزءٌ لا يتجزأ من المنظومة الأمنية المنضوية تحت لواء الحكومة العراقية »[19].

(19) شبكة النبأ، المصدر السابق.

وقد بيّن وزير الدفاع العراقي خالد العبيدي(2014-2016) أن قوات الحشد الشعبي منضبطة وتعمل بإمرة القيادات الأمنية[20]. وأنها حررت 78% من اراضي سامراء[21].

(20) http://www.almasalah.com. 2014_12_1

(21) وكالة انباء براثا، 2015/3/9 http://www.buratha" news.com"

ومما تقدَّم فإن الحشد الشعبي جاء كرد فعل ضد قوى إرهابية أرادت إلغاء هوية الدولة العراقية التاريخية والدينية والحضارية كجزء من مخطط خلق الفوضى في أهم منطقة في الشرق الأوسط والعالم، وبالتالي فإنه جاء كصيغة معادلة لهذه القوى وكبح جماحها عقائدياً وإنسانيا. وجاء ليكون حلاً امنياً وإستراتيجياً ضد هذا التهديد للعراق والمنطقة اذ أثّرت انتصارات الحشد في العراق في ضعف وانهيار داعش في سوريا.

ومن جانب آخر تمسكتِ السياسةُ العراقيةُ في أعلى مستوياتها بالدفاع عن الحشد الشعبي ودوره الوطني فِي الحفاظ على الدولة العراقية والمنطقة ففي لقاء رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي بوزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون R.Te-lirson (1 شباط 2017 - 31 اذار 2018) الذي وصف الحشد الشعبي بالمليشيات ردَّ عليه رئيس الوزراء العراقي بأن الحشد هو (أمل العراق والمنطقة) وكان ذلك أثناء حضور تيلرسون يوم 15/تشرين الاول /2017 الاجتماع الأول لمجلس التنسيق العراقي – السعودي لتحسين العلاقات بين الدولتين، وجاء الرد العراقي في بيان للمكتب السياسي لرئيس الوزراء إذ جاء فيه «ان الحشد الشعبي مؤسسة رسمية ضمن مؤسسات الدولة، وان الدستور العراقي لايسمح بوجود جماعات مسلحة خارج إطار الدولة، مؤكداً أن «علينا تشجيع مقاتلي الحشد لأنهم سيكونون أملاً للعراق والمنطقة»[22].

(22) مجلة ميم العربية ".http://www مختصة meem" magazine, net في المواضيع السياسية والحقوقية 2017/10/24.

وإزاء تنامي قوة الحشد الشعبي العسكرية والسياسية فقد تعرَّض إلى العديد من المشاريع والمخططات لتقويضه وإضعافه، ومنها المخطط الأمريكي البريطاني الذي استهدف نزع سلاح الحشد الشعبي وتسريح عناصره ودمج ماتبقى منها في القوات المسلحة العراقية. وعرف هذا المشروع الامريكي بنظرية D.D.R، وهو اختصار لعبارة (Disarrmament.Demobilization. Renitegation) التي تعني نزع السلاح والتسريح. واعادة الاندماج»[23]. واكد بعض الشخصيات ومنهم النائب عن البصرة فالح الخزعلي أن الغرض من هذه المشاريع هو إضعاف العراق وطالب القائد العام للقوات المسلحة بتصديق هيكلية وتعليمات الحشد الشعبي، كما دعا وزارة الخارجية العراقية إلى ممارسة دورها ومسؤوليتها برفض التدخل الأمريكي أو غيره في استهداف القوات الأمنية العراقية بما فيها الحشد الشعبي[24].

(23) مجلة ميم العربية "http:// مختصةwww.meem" magazine. net في المواضيع السياسية والحقوقية 2017/10/24.

(24) وكالة العراق الاخبارية 12/11/ http:www.one news.com 2017

ويرى بعض المحللين حول أسباب الاستهداف الأمريكي للحشد الشعبي ومنهم عبدالأمير المجر أن الولايات المتحدة الأمريكية تستهدف الفئة الثالثة من الحشد الشعبي المكّون حسب رأيه من ثلاثة أقسام:

1 - الحشد الذي تكوّن بفتوى المرجعية الدينية في النجف الأشرف.

2 - وحشد تابع للأحزاب السياسية.

3 - وحشد يتبع ولاية الفقية الذي تعود مرجعيته إلى السيد الخامئني في ايران، لأنها اي الولايات المتحدة تخشى من تحول الحشد إلى عامل مؤثر ليس في الجانب العسكري فقط بل في الجانب السياسي عندما ينجح بالفوز في

الانتخابات العراقية لعام 2018 وهذا بدوره سيؤثر في الواقع السياسي العراقي تُجاه الولايات المتحدة وسياستها في العراق والمنطقة[25].

(25) المصدر نفسه.

وفي الواقع فإن التخوف الأمريكي ليس فقط من مرجعية الحشد وتبعيته بل هو من بروز قوة عقائدية غيّرت معطيات التوازن الإقليمي في المنطقة واربكت المخططات الأمريكية والإسرائيلية في رسم خارطة جديدة للمنطقة وفق مشروع الشرق الأوسط الكبير بتقسيم العراق وسوريا إلى مناطق متنازعة بما يخدم استمرار التفوق الاستراتيجي لإسرائيل في المنطقة كما ان هذه القوة تذكّر السياسة الأمريكية بقوة حزب الله اللبناني وكيف حقق توازن القوة والردع مع إسرائيل ولذلك فهي سعت وتسعى لكبح جماحها بكل ما أوتيت من قوة في مشاريعها الأمنية والسياسية والعسكرية في العراق والمنطقة.

وكانت الولايات المتحدة قد أعربت في يوم 2016/11/29 عن قلقها من قرار البرلمان العراقي في دمج الحشد الشعبي في القوات المسلحة العراقية وجاء ذلك رداً على سؤال احد الصحفيين حول ما إذا كانت الإدارة الأمريكية قلقة من إقرار هذا القانون؟ فأجاب المتحدثُ الرسمي باسم الخارجية الأمريكية جون كيري J. keri «نعم بالتاكيد نحن قلقون من ذلك» وفي موجز صحفي للخارجية الأمريكية في واشنطن أكد: أنها لاتريد لأي من المشتركين في الحرب ضد تنظيم داعش ان يزيدوا التوتر الطائفي إلى أكثر مما هو عليه اساسا. كما سعت واشنطن إلى منع تقديم اي دعم للحشد الشعبي، بما فيه الدعم الجوي في معاركه ضد تنظيم داعش[26].

(26) انكاسام، مركز انقرة لدراسة الازمات والسياسات 2018/12/28.

أمَّا الصحافة الامريكية فقد تعرَّضت إلى هذا القانون والموقف منه، وماذا ينتج عنه على الصعيد العراقي والاقليمي؟وعدَّته صحيفة الواشطن بوست (Washingtonb post) أنه سيحوَّل الحشدَ الشعبي إلى مؤسسة عسكرية تابعة لرئيس الوزراء العراقي وسيعقّد التعاون العسكري العراقي – الأمريكي والغربي ويعمل على زيادة التوتر الطائفي في العراق، ولأجله فإن السفارة الأمريكية في بغداد رفضت التعليق على القانون لأنه سيشرعن لوجود منظمات مدرجة على لائحة الإرهاب الأمريكي[27] وأكدت الصحيفة: أن حكومة العبادي لم تهتم بمطالبات الساسة لتقنين وجود الحشد الشعبي في صفوف القوات العراقية[28].

(27) Washington post2016/11/27.

(28) المصدر نفسة.

وفيما يتعلق بزيادة التوتر الطائفي في العراق، فإن فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها السيد السستاني المرجع الأعلى في النجف الأشرف لم توجّه لطائفة معيّنة وانما كانت لجميع المواطنين القادرين على حمل السلاح وهذا درس كبير من دروس

الوحدة الوطنية التي إتَّصفت بها خطابات المرجعية وبذلك أسقطت كلَّ صوتٍ طائفي شكَّك في هدف فتوى الجهاد الكفائي وقصدها[29].

(29) السيد كمال الشبلي، فتوى الجهاد الكفائي ضمانة الدول الكبرى، وكالة نون الخبرية 18/ حزيران / 2016

وفيما يخصّ التعاون العسكري الأمريكي الذي أشارت إليه الصحيفة فإنه لم يكن بمستوى وحجم الخطر الذي شكّله تنظيم داعش على وحدة ومستقبل العراق عندما سيطر على المناطق الغربية واقترب من حزام بغداد بل تركت الإدارة الأمريكية العراق يواجه مصيره وحيداً دون دعم جوي أو بري يذكر، وتمكنت الحكومة العراقية من احتواء اي توتر طائفي يمكن ان يثيره تحول الحشد إلى مؤسسة أمنية إضافة إلى ان الحشد الشعبي كان من كل الطوائف والفئات العراقية اي انه كان حشداً وطنياً.

وفعلاً فإن الإدارة الأمريكية كانت قد تلكأت في تجهيز العراق بصفقات الأسلحة التي سدد اثمانها بالكامل وعليه فإن ماعند الجيش العراقي من أسلحة في حينها لم تكن قادرة على التصدي لتنظيم داعش[30] وتركت هذه الإدارة العراق عرضة للتهديدات الداخلية والإقليمية دون قدرة تسليحية فاعلة للحفاظ على استقراره وآمنه وسيادته، بعد تعثر مسؤوليتها من الناحية الواقعية وفشل التزاماتها في كونها الداعم الرئيس للأمن والاستقرار في العراق[31].

(30) كرار انور بديري، سقوط الموصل ومحصلة الاعباء الداخلية والخارجية، ط1، دار دجلة، عمان 2015، ص 37.

(31) محمد طالب حميد، المصدر السابق، ص 299.

واستمر الإدراك السياسي والأمني لدى السياسيين العراقيين وقادتهم بان الحشد أصبح صمام أمان البلاد والساعد الأيمن لكل القوات الأمنية التي حافظت على العراق ارضاً وسماءاً وشعباً، ورداً على تصريحات وزير الخارجية الأمريكية السابقة حول الحشد الشعبي، اكد الأمين العام لمنظمة بدر و أحد قادة الحشد الشعبي هادي العامري: أن وزير الخارجية الأمريكية غير مرحّب به في بغداد، مطالباً رئيس الوزراء حيدر العبادي بعدم استقباله في بغداد إلَّا بعد ان يعتذر رسمياً عن تصريحاته غير المسؤولة وفي لقاء السيد العبادي في يوم الاثنين 10/23/ 2017 في بغداد لوزير الخارجية الأمريكي تيلرسون مسانداً ومدافعاً عن الحشد الشعبي أكد: أن الدستور العراقي لايسمح بوجود جماعات خارج إطار الدولة وبان مقاتلي مؤسسة الحشد الشعبي عراقيون دافعوا عن العراق وقدموا التضحيات التي أدت إلى تحقيق الانتصار على تنظيم داعش الإرهابي[32].

(32) السومرية نيوز "http://www.alsumaria.tv" الاثنين 23/ تشرين الثاني / 2017

ويرى بعض المحللين العسكريين أن الحشد الشعبي أعطى زخماً جديداً للقوات الأمنية العراقية من خلال توظيف مكانته في الاستراتيجية العسكرية العراقية والتي من خلالها تمَّ تدمير داعش وإمكاناته وإفشال خططه العسكرية بالسيطرة على

العراق، ولهذا السبب كان إصدار قانون الحشد الشعبي المذكور آنفاً الذي عدَّه أحدَ أهمِّ مرتكزات القوات المسلحة العراقية فضلاً عن ان الحشد الشعبي عُدَّ مشروعاً وطنياً جديداً أعاد ثقة المواطن بحكومته وقواته الأمنية[33].

وعدَّ بعض الكتل السياسية ومنها حركة عصائب أهل الحق في 13/ كانون الثاني / 2017 مشاركة الحشد الشعبي في الملف الأمني أنه ضرورة وطنية، لأنه أصبح جزءاً من المنظومة العسكرية العراقية وجاء ذلك على لسان المتحدث باسم الحركة نعيم العبودي في حديث له للسومرية نيوز[34].

وحول دور الحشد الشعبي في إفشال التقسيم الطائفي اكد مستشار الامن الوطني ورئيس هيأة الحشد الشعبي فالح الفياض، ان تجربة الحشد أضعفت وأنهت المفهوم الطائفي وأعادت للعراق قوته وهيبته في المنطقة. ودعا إلى استمرار تجربة الحشد في المستقبل وبضرورة أخذ الدورس منها لأن المستقبل يُبنَى عبْرَ تحشيد الطاقات واستثارة القيَّم، مؤكداً ان الحشد تمكّن من هزيمة الضعف والسلبية التي كانت سائدة في النفس العراقية خلال المدة الماضية[35]. وساهمت انتصارات الحشد الشعبي في افشال المخططات المرسومة لتقسيم العراق والمنطقة، وأوقفت السيناريوهات الخبيثة الهادفة إلى اقتتال العراقيين فيما بينهم[36].

وفعلاً فإن تجربة تأسيس الحشد الشعبي وتطوره أفشلت المشاريع الغربية والأمريكية لتقسيم العراق على أساس طائفي إذ دفعت الإدارة الأمريكية باتجاه التعجيل بتشكيل (الحرس الوطني) من بقايا الجيش السابق والبعثيين وما يسمى بثوار العشائر وتسليحه وتدريبه في نفس الوقت الذي جرت فيه المماطلة والتسويف في تسليح القوات المسلحة العراقية بما تحتاجه من المعدات العسكرية بالرغم من وجود اتفاقيات امنية بين الحكومة العراقية والإدارة الأمريكية، بالإضافة إلى الرفض الأمريكي لوجود قوات الحشد الشعبي وعدم الاعتراف بها وتصنيفها طائفياً تمهيداً لوضع المشاريع لإنهائها[37] الا ان نجاح تجربة الحشد الشعبي وانتصاره على تنظيم داعش في كل المعارك وتعميم هذه التجربة في المحافظات الغربية كالأنبار ونينوى وصلاح الدين وديالى، فإنه لم تعُدْ هناك حاجةٌ او مبرر لإستحداث ما سُمّيَ (بالحرس الوطني) طالما ان الحشد الشعبي اصبح حينها ومازال قوة ضاربة على الأرض. إذ ان مشاركته بسنته وشيعته بتحرير المناطق الغربية عُدُّ مؤشراً وطنياً ايجابياً اسقط الدعوة إلى تشكيل جيوش التقسيم تحت مسمى الحرس الوطني[38].

(33) محمد الجزائري، دور الحشد الشعبي في الإستراتيجية العسكرية العراقية لمكافحة الإرهاب، المصدر السابق، ص 154.

(34) السومرية نيوز .http//www alsumaria.tv. 13/كانون الثاني/2017

(35) محمود الجبوري، فك الألتباس بين الحشد الشعبي والمليشيات. المركز الخبري لشبكة الاعلام العراقي ".mailto:center imn@gmail". com21/ كانون الثاني 2015/؛ قناة العالم 27/ تموز /2018 "http://www.alalam.ir"

(36) الحشد الشعبي.. الرهان الاخير، مجموعة من الباحثين. (حسين عدنان هادي، انور عادل محمد، فكرة جيوش الظل. الحشد الشعبي.. ماهيته.. عقيدته.. هيكليته) مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، الكتاب رقم 1، ط2، 2015، د.م، ص 35.

(37) محمد محجوب، وطنية الحشد الشعبي، مقالات سياسية 2015/1/21 http:www.com

(38) المصدر نفسه.

أي ان نشوء الحشد الشعبي الشيعي والسني إضافة إلى بروز قوى المقاومة لداعش، عرقلت وأنهت اقرار هذا المشروع، فضلاً عن الخلافات السياسية[39].

وجاء الدعم الحكومي والسياسي الآخر للحشد الشعبي بإصدار قرار لرئاسة الوزراء بالمساواة بين مخصصات ورواتب ودرجات مقاتلي الحشد وبين مثيلاتها في القوات المسلحة العراقية فضلاً عن منح الرتب القيادية لمنتسبي الحشد دون شرط وتحديد تعيين المتطوعين والموظفين المدنيين العاملين في هيأة الحشد واحالة كبار السن منهم إلى التقاعد[40].

وأعطت هذه القرارات إشعاراً ورسائل عديدة لكل الأطراف المحلية والدولية والعربية أن الحشد الشعبي ومقاتليه هم احد مرتكزات القوات الأمنية العراقية، وأنها تأتي لإعلام الأصوات المطالبة بإلغاء الحشد ودمجه في القوات الأمنية لاضعافه، بان قرار الحكومة العراقية أصبح نافذاً بهذه المعطيات الجديدة[41].

وفي الجانب الأمني منحت التوجيهات والتعليمات الجديدة للحكومة العراقية الحشد ومقاتليه صلاحيات أمنية شرعت لاشتراكه حالياً ومستقبلاً في عمليات فرض الأمن والمشاركة في إعداد الخطط الأمنية والعسكرية وضمان وجودهم في كل الميادين ومنها منطقة الحدود العراقية السورية[42].

هذه القرارات والصلاحيات التي منحتها الحكومة العراقية للحشد الشعبي جاءت لتعاظم دوره الأمني والعسكري إذْ أصبح يشكل عاملاً مهماً في الحفاظ على أمن واستقرار الدولة العراقية بقدراته واحترافيته الأمنية والعسكرية ومسكه الحدود إضافة إلى كونه رافداً وداعماً مهما للقوات الأمنية الأخرى والتي شكّل معها سداً منيعاً في حماية حدود العراق وأرضه والتصدي للمخططات المستقبلية للعصابات الإرهابية او للدول المجاورة التي تسعى للتجاوز وانتهاك حرمة الأراضي العراقية.

وعليه فإن الحشد الشعبي في المدرك السياسي العراقي أصبحت له أهمية عظمى وجاءت القرارات الأخيرة والدعم الحكومي له لتصبَّ وتخدم هذه الحقيقية، وأصبح يشكل جزءاً مهماً وإستراتيجياً في قوة الدولة العراقية وتماسكها.فبدلاً من ان يجيّر الحشد لجهة سياسية معينة أصبح حالياً عموداً أساسيا من أعمدة الدولة الأمنية والعسكرية كما هو الحال بالنسبة للجيش العراقي وقوات مكافحة الإرهاب وغيرها.

ويعتقد بعضُ المحللين بأن الحشد الشعبي ومن يمثله من السياسيين والداعمين

(39) مصطفى سعدون، مابعد داعش اربعة جيوش في العراق هل سيتقاتلوا 21/ تموز /2016 .http//www baghdadtoday.news ;http//;www. al_monnitor.com

(40) مركز الروابط للدراسات الإستراتيجية والسياسية، الحشد الشعبي وقرارات بغداد http//www. rawabet center.com

(41) مركز الروابط للدراسات الإستراتيجية والسياسية، الحشد الشعبي وقرارات بغداد http//www. rawabet center.com

(42) مركز الروابط للدراسات والبحوث، الحشد الشعبي وقرارات بغداد، المصدر السابق

سيشكل المحور في التنافس على السلطة في المعسكر الشيعي وبأنهم سيقودون عملية إعادة بناء الدولة والهوية العراقية[43].

(43) مركز كارينغي للشرق الأوسط، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، الحشد الشعبي ومستقبل العراق، ريناد منصور، فالح عبدالجبار 28/ نيسان/2017 "http://www.carnegie-mec.org"

وأعطى الاعتراف الاممي والدولي بالحشد الشعبي زخماً إضافيا مكّن الحكومة العراقية في توظيف هذه القوة في الإستراتيجية الأمنية العراقية واعطاها الإمكانات القانونية والسياسية كافة، ومن هذه الاعترافات ما اعلنته الأمم المتحدة في خطاب لها على لسان الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس بعثة الامم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) بان كوبيتش (Bankobitsh) في 2015/5/22 عندما ذكر الحشد الشعبي. إذ قال «انه وبعد مرور عام على سقوط الموصل يبقى ثلث العراق تحت سيطرة وادراة تنظيم داعش» ذاكراً ومضيفاً «ان الهجمات العسكرية لقوات الامن العراقية، بدعم حاسم من قوات الحشد الشعبي...» وهذه الإشارة من الأمم المتحدة في خطابها الرسمي يشير إلى الاعتراف الضمني بشرعية الحشد الشعبي دولياً[44].

(44) htt//www.elmashrig center مركز الشرق للدراسات والإعلام 2016/11/10 ملخص تقريراً المبعوث الاممي في العراق بان كوبتيش.

وفي 12/آذار/ 2016، قام القنصل الأمريكي في البصرة ووكر wokerبزيارة رسمية لجرحى الحشد الشعبي في مستشفى الصدر التعليمي. إذ قال أمام الصحافة باللغة العربية «الولايات المتحدة معترفة بالمساهمة المهمة التي يقدمها الحشد الشعبي تحت قيادة رئيس الوزراء، وان اغلب الحشد جاء من الجنوب»[45] وفي 26/ كانون الثاني/ 2016 قام الفريق الأمريكي ستيفان فاوزند S.Fouzind قائد قوة المهام المشتركة- عملية العزم الصلب بالعراق لمكافحة تنظيم داعش بتصريح جاء فيه: أن قوات الحشد الشعبي «حلفاء منضبطون بشكل ملحوظ» وأكد بإمكانية الحشد الشعبي بزيادة الأمان في العراق[46].

(45) http//www.baghdad-times.net القنصل الأمريكي في البصرة يزور جرحى الحشد الشعبي ويشيد ببطولاتهم ضد داعش 2016/3/12

(46) http//:www.the dailybeast. /com 20/12

من خلال ما تقدَّم في أعلاه فإن الحشد الشعبي انتزع الاعتراف الدولي والاممي من خلال ما حققه من انتصارات عسكرية على اقوى التنظيمات الإرهابية وحاز على إعجاب المجتمع الدولي في التصدي بقوة وحزم لهذه التنظيمات وتحرير الأراضي العراقية ومنعها من الانتشار إلى بقية أنحاء المنطقة والعالم من بوابة العراق وسوريا.

خاتمة وتوصيات البحث

1 - على الحكومات العراقية المتعاقبة ان لاترضخ لأي ضغوط محلية أو أقليمية أو عالمية تتعلق باضعاف او إلغاء او دمج الحشد الشعبي لان من شأن هذا

الرضوخ، ان يعمل على عودة العراق إلى حالة عدم الاستقرار الأمني إلى الحد الذي كان سائداً قبل 2014.

2 - على العكس مما سبق فإن على الإستراتيجية العسكرية العراقية ان تعمل على جعل قوات الحشد الشعبي بمثابة قوات النخبة كالقوات الخاصة، وتزويدها باحدث الأسلحة والطائرات وأجهزة الانذار المبكر لحماية الامن القومي العراقي عبر مسك الحدود والتصدي لأي تهديد خارجي.

3 - عدم تغيير تسمية الحشد الشعبي إلى اي مسمى آخر -لان الحشد الشعبي هو وليد مقدس لفتوى مقدسة تأخذ تضحياتها ومقاومتها وقتالها عبر عقيدة الإيمان بالله والشهادة وحماية مقدرات العراق ومقدساته وهويته الإسلامية والتاريخية لان اية تسمية اخرى ستؤدي إلى تميع العقيدة وبالتالي انهيار معنويات مقاتلية.

4 - ان إدخال الحشد الشعبي في الحسابات السياسية للكتل والأحزاب من شأنه ان يؤدي إلى ضعف هذه المؤسسة وكفاءتها وبالتالي إجهاض الهدف الاستراتيجي الذي وجدت من اجله وحققته خلال سنوات الحرب مع تنظيم داعش الإرهابي وما بعده، وبالتالي فإن الحشد الشعبي يجب ان يرتبط بالدولة العراقية كإرتباط بقية أجهزة الدولة الأمنية كالجيش، والفرق الخاصة بمكافحة الإرهاب، مع الاحتفاظ بقادته المحترفين قادةً ومستشارين في هذه المؤسسة.

ملحق رقم (1)

الحشد الشعبي في أرقام

- تأسست هيأة الحشد الشعبي بناءاً على الأمر الديواني لمجلس الوزراء المرقم 47 لعام 2014.
- يبلغ عددُ أبناء الحشد الشعبي أكثر من 100000 ألف مقاتل في ألوية الحشد الشعبي علاوة على 30000 مقاتل مرتبط بوزارة الدفاع.
- يبلغ عددُ أبناء الحشد الشعبي من أهالي الأنبار 4747 متطوعاً.
- يبلغ عددُ أبناء الحشد الشعبي من أهالي صلاح الدين 4896 متطوعاً.
- يبلغ عددُ أبناء الحشد الشعبي من أهالي الموصل 3570 متطوعاً.
- يبلغ عدد أبناء الحشد الشعبي من أهالي كركوك 4635 متطوعاً.

- يبلغ عدد أبناء الحشد الشعبي من أهالي سامراء 1740 متطوعاً.
- يشارك 500 مقاتل من المسيحيين تحت مسمى (كتائب بابليون).
- يشارك أكثر من 800 متطوع من الشبك في الحشد الشعبي.
- يشارك أكثر من 3520 متطوعاً من التركمان في الحشد الشعبي.
- كل تمويل الحشد الشعبي من الدولة العراقية تسليحاً. رواتب عبر هيأة الحشد الشعبي إذ تبلغ موازنتها 2 تريلون دينار ضمن تخصيصات موازنة 2015.

المصدر: الحشد الشعبي.. الرهان الاخير. مجموعة باحثين. مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، كتاب رقم (1)، ط2، 2015، ص17.